

﴿ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴾

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

رَدُّ الشُّبْهِ،
وجوابٌ لمقالاتِ
أهلِ الضَّالِّ
لإبطالها، منهج
قرآني أصيل

لَمَّا ذَكَرُوا شَبَهْتَهُمْ، وَطَلَبُوا دَلِيلًا عَلَى صَدَقِ الرَّسُولِ ﷺ؛ أَشَارَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى رَدِّ شَبَهْتَهُمْ وَجَوَابِ مَقَالَتِهِمْ وَمَقْتَرَحِهِمُ الْبَاطِلَ، فَجَاءَتْ هَذِهِ الْآيَةُ⁽¹⁾.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿مُنْظَرِينَ﴾: أَصْلُ النَّظَرِ: تَأَمَّلُ الشَّيْءَ وَمُعَايَنَتُهُ، ثُمَّ يُسْتَعَارُ، وَيُسْتَعُ فِيهِ، وَالنَّظَرُ: تَقْلِيبُ الْبَصَرِ وَالْبَصِيرَةُ لِإِدْرَاكِ الشَّيْءِ وَرَوَيْتِهِ، وَسُمِّيَ الْإِمْهَالُ إِنْظَارًا؛ لِأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْوَقْتِ الَّذِي يَأْتِي فِيهِ⁽²⁾، وَضِدُّهُ: التَّعْجِيلُ، وَيَأْتِي الْإِنْظَارُ بِمَعْنَى: التَّأْخِيرِ وَالتَّأْجِيلِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: 14]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [الدخان: 29]⁽³⁾، وَالْمَقْصُودُ بِالْإِنْظَارِ فِي الْآيَةِ: التَّأْخِيرُ وَالتَّأْجِيلُ.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

إِنْزَالُ الْمَلَائِكَةِ لَا
يَكُونُ إِلَّا بِالْحَقِّ،
وعندها لا منجى
من العذاب

رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُشْرِكِينَ: إِنَّمَا لَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا تَنْزِيلًا بِالْوَجْهِ الَّذِي تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ، وَتَجْرِي بِهِ سُنَّتُنَا، كَأَن نُنَزِّلُهُمْ لِإِهْلَاكِ الظَّالِمِينَ، أَوْ لَتَبْلِيغِ وَحِينَا إِلَى رُسُلِنَا، لَا عَلَى حَسَبِ اقْتِرَاحِ الْكُفَّارِ، وَلَوْ نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ عَلَى الْكُفَّارِ - كَمَا اقْتَرَحُوا - فَرَأَوْا الْمَلَائِكَةَ عِيَانًا، وَلَمْ يُؤْمِنُوا؛ فَلَنْ يُمَهِّلَهُمُ اللَّهُ، وَسَيُعَذِّبُهُمْ فِي الْحَالِ⁽⁴⁾.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/122، والقاسمي، محاسن التأويل: 6/330.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نظر).

(3) الزَّاعِبُ، الْمَفْرَدَاتُ، وَالسَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، عَمْدَةُ الْحِفَاطِ: (نظر)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/19.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/4، والشوكاني، فتح القدير: 3/147، ونخبة من أسانيد

التفسير، التفسير لليسر، ص: 262.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

سبب إثارة تقديم هذه الآية على التي بعدها:

لما قال المشركون: ﴿وَقَالُوا يَتَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (١) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ؛ كان الظاهر أن يكون الردُّ أولاً على تكذيبهم بالتَّزِيل، ثم الردُّ عليهم في طلب الإتيان بالملائكة، فكان الظاهر أن تتقدَّم الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ على قوله: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾، ولكن لشدة استدعاء طلبهم الإتيان بالملائكة للجواب قُدِّمَ ردُّه على ما هو جوابٌ عن التَّكْذِيب، وليكون أحد الجوابين مُتَّصِلًا بالسؤال، ولو عكس؛ لزم انفصال كل من الجوابين عن سؤاله (١)، كما أن تأخير قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ هو الأوفق على جهة التذييل لكون الآية مسوقة على معنى العموم والكلية.

بلاغة التعبير في تأكيد أن مصدر التَّنَزُّل هو الله وحده:

في قوله: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، لما كان كلام المشركين على طريق الخطاب لرسول الله ﷺ، وكان الظاهر أن يكون الردُّ من المخاطب، بأن يقال له: (قل) أو ما في هذا المعنى؛ كان مجيء الرد من الله تعالى قطعاً لشبهتهم، وتقريراً بأن الذي يقوله لكم رسولنا هو من عندنا وبإذنتنا، وإشعاراً بأن المتكفل بالأمر هو الله تعالى.

بلاغة الجواب في سياق الآية البليغ:

قوله: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وفيه جاء الجواب على مقترح الكافرين بالإتيان بالملائكة مشوباً بطرفٍ من الأسلوب الحكيم؛ للإشعار بتعليمهم الفرق بين آيات الرُّسُل وبين آيات العذاب، فأراد الله ألا يدخرهم هدياً، وإلا فهم أحرىء بالآل يُجابوا (٢).

الردُّ على
الشُّبهات من
أهم الأولويات

المتكفل بأمر هذا
الدين هو الله
تعالى، ولذلك
فهو محفوظ
دوماً

نعم الله على
الإنسان لا
تنقطع على
الدوام

(١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/67.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/18.

سبب إثار التعبير بصيغة المبني للفاعل ﴿نُزِّلَ﴾:

ليس التنزيل
من قبل رسول
الله ولا من قبل
أحد، بل من
الله تعالى وحده

لَمَّا قَالُوا عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِهْزَاءِ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾،
بصيغة المبني للمفعول تكديباً واستهزاءً، رَدَّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ هُوَ الْمُنَزَّلُ
عَلَيْهِ، فَلَيْسَ التَّنْزِيلُ مِنْ قَبْلِهِ وَلَا قَبْلَ أَحَدٍ، بَلْ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِي
بَعَثَ بِهِ جِبْرِيلَ   إِلَى رَسُولِهِ   (1).

براعة العدول في الجواب في قوله تعالى: ﴿مَا نُزِّلَ﴾:

نزول الملائكة
من مقامهم،
بطريق التنزيل،
من جناب الربِّ
الجليل

لَمَّا حَكَى اللَّهُ عَنِ الْمَشْرِكِينَ قَوْلَهُمْ: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ﴾؛ كَانَ
ظَاهِرَ الرَّدِّ بِصَدَدٍ مُقْتَرَحِهِمْ أَنْ يَقَالَ: (مَا تَأْتِيهِمْ بِهِمْ إِلَّا بِالْحَقِّ)،
فَعَدَلَ عَنْ تَطْبِيقِ ظَاهِرِ الرَّدِّ؛ لِيَكُونَ مَشُوبًا بِطَرْفٍ مِنَ الْأَسْلُوبِ
الْحَكِيمِ كَمَا تَقَدَّمَ؛ لِلإِذَانِ بِأَنَّهُمْ قَدْ أَخْطَؤُوا فِي التَّعْبِيرِ، كَمَا
أَخْطَؤُوا فِي الْاِقْتِرَاحِ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَعُلَّوْا رَتَبَتَهُمْ أَعْلَى مِنْ أَنْ يُنْسَبَ
إِلَيْهِمْ مُطْلَقُ الْإِتْيَانِ الشَّامِلِ لِلانْتِقَالِ مِنْ أَحَدِ الْأَمَكَةِ الْمُسَاوِيَةِ إِلَى
الْآخَرِ مِنْهَا، بَلْ مِنَ الْأَعْلَى إِلَى الْأَسْفَلِ، وَأَنْ يَكُونَ مُقْصَدُ حَرَكَاتِهِمْ
أَوَّلُكَ الْكُفْرَةَ، وَأَنْ يَدْخُلُوا تَحْتَ مُلْكُوتِ أَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ، وَإِنَّمَا الَّذِي
يَلِيْقُ بِشَأْنِهِمُ النَّزُولُ مِنْ مَقَامِهِمُ الْعَالِي، وَكَوْنُ ذَلِكَ بِطَرِيقِ التَّنْزِيلِ
مِنْ جَنَابِ الرَّبِّ الْجَلِيلِ (2).

سرُّ التعبير بنون العظمة، في قوله: ﴿نُزِّلَ﴾:

الملائكة ليس
لهم اختيار
في النزول،
فنزلوهم بأمر
الله تعالى

عَبَّرَ بِنَوْنِ التَّعْظِيمِ لِلإِذَانِ بِأَنَّ تَنْزِيلَ الْمَلَائِكَةِ شَأْنٌ عَظِيمٌ، وَأَنَّهُ
لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْمَلِكِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ وَعَنْ أَمْرِهِ سُبْحَانَهُ؛
وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ اخْتِيَارٌ فِي النُّزُولِ، وَلِهَذَا قَصَرَ تَنْزِيلَهُمْ عَلَى أَنْ يَكُونَ
تَنْزِيلًا بِالْحَقِّ، فَفِيهِ تَوْبِيخٌ لَهُمْ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ وَاسْتِخْفَافِهِمْ.

توجيه القراءات القرآنية، في قوله: ﴿نُزِّلَ﴾:

قَرَأَ حَفْصٌ وَحَمْزَةُ وَالْكَسَائِيُّ وَخَلْفٌ ﴿نُزِّلَ﴾ بِنَوْنَيْنِ الْأُولَى

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 6/468.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/67.

تنوُّع القراءات
القرآنية، فيه
سعة في المعنى

مَضْمُومَةٌ، والثَّانِيَةُ مَفْتُوحَةٌ، وَكَسَرَ الزَّاي، وَ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ بِالنَّصْبِ، وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ بِالتَّاءِ مَضْمُومَةٌ وَفَتَحَ النُّونَ وَالزَّاي، أَي: (مَا تُنَزَّلُ) مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ، وَ(الْمَلَائِكَةُ) بِالرَّفْعِ نَائِبًا عَنِ الْفَاعِلِ، وَفَرَأَ الْبَاقُونَ (مَا تَنَزَّلُ) بِفَتْحِ التَّاءِ⁽¹⁾، فَأَمَّا قِرَاءَةُ ﴿نُزِّلَ﴾؛ فَقَدْ تَقَدَّمَ تَوْجِيهَهَا، وَأَمَّا قِرَاءَةُ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ (مَا تُنَزَّلُ)؛ فَيَكُونُ إِبْهَامُ الْفَاعِلِ لِتَعْظِيمِ شَأْنِهِ، وَأَمَّا قِرَاءَةُ (مَا تَنَزَّلُ)؛ فَحَذَفَتْ إِحْدَى التَّائِينَ اسْتِثْقَالًا لِلْجَمْعِ بَيْنَهُمَا، فَفِيهَا تَخْفِيفٌ صَوْتِيٌّ، وَتَوْجِيهٌ أَنَّ (تَنْزَلَ) مِنْ (تَنَزَّلَ)، وَهُوَ إِمَّا بِمَعْنَى الْمَطَاوَعَةِ، أَيْ: نَزَلَهَا اللَّهُ، فَتَنَزَّلَتْ، لِلإِشْعَارِ بِأَنَّهَا لَا تَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ، وَأَنَّ نَزُولَهَا هُوَ امْتِثَالٌ لِأَمْرِ اللَّهِ لَهَا بِالنُّزُولِ، لَا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهَا، وَإِمَّا بِمَعْنَى تَكْلُفِ النُّزُولِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ نَزُولُ الْمَلَائِكَةِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ قَلِيلًا وَنَادِرًا؛ صَارَ نَزُولُهُمْ فِي حَكْمِ الْمُتَكَلِّفِ⁽²⁾.

فائدة الباء في قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾:

الباء هنا للملابسة، والمعنى: مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا تَنْزِيلًا مُلْتَبَسًا بِالْحَقِّ، بِمَعْنَى عَدَمِ مَفَارِقَةِ الْحَقِّ لَهُمْ فِي جَمِيعِ شُؤْنِهِمْ حِينَ تَدْلِيهِمْ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى سُفْلٍ.

الحق لا يفارق
الملائكة في جميع
شؤونهم

دلالة المستثنى، في قول تعالى: ﴿بِالْحَقِّ﴾:

لَمَّا كَانَ التَّقْدِيرُ: مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا تَنْزِيلًا بِالْحَقِّ؛ كَانَ الْجَائِزُ وَالْمَجْرُورُ صِفَةً لِلْمَصْدَرِ الْمَحْذُوفِ عَلَى مَعْنَى بَيَانِ نَوْعِ الْمَصْدَرِ⁽³⁾، فَحُذِفَ الْمَصْدَرُ، وَأَقِيمَتِ الصِّفَةُ مَقَامَهُ عَلَى وَجْهِ الْمُبَالَغَةِ، بِأَنَّ جُعَلَ عَيْنُ التَّنْزِيلِ مُلْتَبَسًا بِالْحَقِّ، وَتَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ مُلْتَبَسًا بِالْحَقِّ كَذَلِكَ.

حذف المصدر،
وإقامة الصفة
مقامه للمبالغة

(1) ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص: 366، والأزهري، معاني القراءات: 2/68، وابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/301.

(2) الرضي الاسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب: 1/104، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/140.

(3) الألوسي، روح المعاني: 7/260.

دلالة الاستثناء المفرغ، وأثره في المعنى:

لصوق الحق
بالملائكة، في
جميع تنزلاتهم

في قوله تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، لما كان الاستثناء مفرغاً من أعم الأحوال؛ أفاد نفي عموم الأحوال الذي يلزم منه نفي عموم الأزمنة والأمكنة، والمعنى: نفي تنزيل الله تعالى للملائكة في جميع الأحوال إلا في حالة كونه تنزيلاً بالحق.

بلاغة الحصر في سياق الآية الكريمة:

تنزيل الله
للملائكة لا
يكون إلا بالحق،
ولا يتجاوز به إلى
الباطل

في قوله: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، لما كان الحصر بطريق (ما وإلا) يُسلِّك مع مخاطب مرتكب للخطأ مع إصرار⁽¹⁾؛ أفاد الحصر هنا ردّ المشركين عن خطأ اعتقادهم في جواز طلبهم الإتيان بالملائكة، وكأنهم لما طلبوا الإتيان بالملائكة كانوا مصرين على جواز الطلب وتكرّره منهم، ومعنى الحصر في الآية: قَصُر تنزيل الله تعالى للملائكة على كونه تنزيلاً بالحق لا يتجاوز به إلى الباطل، ففيه إشعار بأن ما اقترحوه من الإتيان بالملائكة ليس من الحق بل هو من الباطل، وهو من قصر الأفراد؛ لأنّ المشركين كانوا يعلمون أنّ الملائكة تنزل بالعذاب، كما هو حاصل في الأمم الماضية.

دلالة لفظ ﴿بِالْحَقِّ﴾ في السباق:

تنزيل للملائكة
يكون لحكمة
وفائدة، أو
للعذاب الحاق
عليهم

يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ المراد من لفظ ﴿بِالْحَقِّ﴾ الوجه الذي قدّره الله تعالى، واقتضته حكمته، أي: ما ننزل الملائكة إلا بالحكمة والفائدة، ولا حكمة في أن تأتيكم بصور تشاهدونها، فإنه لا يزيدكم إلا لبساً، وإلا في معاجلتكم بالعقوبة، فإنّ منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالإيمان، فيصير إنزالهم عبثاً باطلاً، ولا يكون حقاً، ويحتمل أن يكون المراد من الحق العذاب، أي: ما ننزل الملائكة إلا بالعذاب الحاق بكم، فتكون الباء للمصاحبة، والحق بمعنى الشيء الحاق، أي: ما ننزل الملائكة إلا مُصاحبين للعذاب الحاق على

(1) السكّاني، مفتاح العلوم، ص: 295.

النَّاسِ، وَهُوَ عَذَابُ الْإِسْتِصَالِ، وَحُكْمُنَا فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ أَلَّا نَفْعَلَ بِهِمْ ذَلِكَ، وَأَنْ نُنْظِرَهُمْ لِمَا عَلِمْنَا مِنْ إِيْمَانٍ بَعْضِهِمْ، وَمِنْ إِيْمَانٍ أَوْلَادِ الْبَاقِيْنَ⁽¹⁾.

براعة التعبير بحرف الجزاء ﴿إِذَا﴾ في السياق:

لَمَّا كَانَ ﴿إِذَا﴾ حَرْفَ جَوَابٍ وَجَزَاءٍ؛ دَلَّ عَلَى وَجُودِ شَرْطٍ مُقَدَّرٍ، وَتَقْدِيرِ الْكَلَامِ: وَلَوْ نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ: إِذَا مَا كَانُوا مُنْظَرِينَ⁽²⁾، فَأَفَادَ لَفْظُ ﴿إِذَا﴾ الْجَوَابَ عَنْ قَوْلِهِمْ: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ﴾، وَالْمَجَازَةَ عَلَى طَلِبِهِمْ.

اختيار الجواب
الأنسب، من
بلاغة التعبير

براعة ترتيب الجملتين في سياق التنزل وعدم الإنظار:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا نُنْزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾، جَاءَتْ ﴿إِذَا﴾ مُتَقَدِّمَةً فِي الرِّتْبَةِ؛ لِأَنَّهَا الْجَوَابُ الْمَقْصُودُ لِطَلِبِهِمْ ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ﴾، فَتَكُونُ جُمْلَةً ﴿مَا نُنْزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ مُقَدِّمَةً مِنْ تَأْخِيرٍ؛ لِأَنَّهَا تَعْلِيلٌ لِلْجَوَابِ، فَقَدِّمَتْ؛ لِأَنَّهَا أَوْقَعَتْ فِي الرَّدِّ، وَأَوْجَزَ⁽³⁾، كَمَا أَنَّهَا فِي مَقَامِ الْحُكْمِ الْكَلِّيِّ الَّذِي يَشْمَلُ تَعْلِيلَ الْجَوَابِ الْمَذْكُورِ وَغَيْرِهِ، وَلِيَصَحَّ عَطْفُ جُمْلَةٍ ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ عَلَيْهَا.

براعة نظم
القرآن، في
ترتيب الجمل في
هذا المصمّر

سرّ العطف في سياق الآية الكريمة:

قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾، تَضَمَّنَ جَوَابُ طَلِبِهِمْ تَعْلِيلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: كُلِّيُّ هُوَ الْجُمْلَةُ الْأُولَى، وَالْآخَرُ يَخْصُّهُمْ، وَهُوَ الْمَذْكُورُ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾، فَتَضَمَّنَ التَّعْبِيرُ الرَّدَّ عَلَى شَبْهَةِ الْكَافِرِينَ بِالْإِخْبَارِ عَنْ أَنَّ تَنْزِيلَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ شَأْنِ اللَّهِ، وَلَا يَنْزِلُهُمْ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، كَمَا تَضَمَّنَ إِقَامَةَ الْحُجَّةِ بِطَرِيقِ التَّنْزِيلِ عَلَى قَوْلِهِمْ

معنى سببية
الجملة
المعطوف
عليها للجملة
المعطوفة، وأثره
في المعنى

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/423، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/122، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/207، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/68، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/19.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/68، ومجير الدين العليمي، فتح الرحمن: 3/542، والشوكاني، فتح القدير: 3/147.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/19.

ومقترحهم، وأفاد العطف أَنَّ الجملة الأولى تفيد بمضمونها أَنَّها سببٌ للجملة الثانية، ولهذا تضمَّنت حرفَ الجزاء ﴿إِذَا﴾، والمعنى: لو فرض أَقْتَرَضَ، ونَزَّلْنَا الملائكة؛ فما كانوا إِذَا مُنْظَرِينَ، أي: فما يتأخَّر عنهم العذاب عندَ معاينة الملائكة، وما كانوا مُنْظَرِينَ، فأفاد الكلامُ الرَّدَّ عليهم وجوابهم مع ذكر المجازاة على طلبهم، وفيه تهديدٌ ووعيدٌ لهم على مقولتهم.

سبب توسُّط حرف الجواب ﴿إِذَا﴾ في الآية:

في قوله: ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾، لما كان الأصل في حرف الجواب أَنْ يكون مصدراً في جملة الجواب؛ أفاد توسُّطها بين اسم كان وخبرها تمامَ المناسبة في الوصل بالواو، بنسق الجملة المنفية على الجملة المنفية لوجود الجهة الجامعة بينهما؛ لأنَّ تقدير الكلام: ما نُزِّلُ الملائكةَ إِلَّا بالحقِّ، ولو نَزَّلْنَا الملائكةَ؛ ما كانوا إِذَا مُنْظَرِينَ، كما أَنَّ توسُّطَ حرف الجواب يجعلُ الحرفَ ألصقَ بالإنظار، فيفهم منه نفي استئصالهم، كما تقدَّم، وللإشعار بأنَّ نفي الإنظار هو الغالب بسبب تقدُّم الكون المنفي⁽¹⁾، فالكلامُ مُعْتَمَدٌ على نفي كونهم مُنْظَرِينَ؛ تهديداً لهم وتخويفاً؛ ولتهويل شأنِ الطلب الذي طلبوه، فتكون الجملة بتوسُّط حرف الجواب قد جمعت بين ما هو كالشيءِ وضده، أي: الإشعار بنفي الاستئصال والتهديد بسبب تقدُّم النفي.

دلالة الإخبار عن الشرط المقدَّر وجزائه:

في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾، لما طلب المشركون الإتيان بالملائكة ليؤمنوا على زعمهم؛ لأنَّهم وإنَّ طلبوا ذَلِكَ بِقَصْدِ التَّهْكُمِ، فَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مُعْتَقِدُونَ أَنَّ نَزُولَ الْمَلَائِكَةِ هُوَ آيَةُ صِدْقِ الرَّسُولِ فِيهِ، فَلَمَّا طَلَبَ الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ؛ كان الإخبار عن الشرط المقدَّر وجزائه

الجمع في
المعنى بين نفي
الاستئصال
والتهديد، من
روائع النظم
القرآني

الاحتجاج على
الكافرين،
بإنتاج
مقدماتهم
لنقيض
مطلوبهم

(1) سيبويه، الكتاب: 3/15.

إيذاناً بإنتاج مقدّماتهم لنقيض مطلوبهم، فطلبوا الإتيان بالملائكة، وجاءهم الرّد بالتّصريح بالضرر إنّ وقع ما يؤمّلون⁽¹⁾.

بلغة الكناية في قوله تعالى: ﴿مُنْظَرِينَ﴾:

لَمَّا كَانَ ﴿إِذَا﴾ حَرَفَ جَوَابٍ لِمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ، وَتَعَلَّقَ بِهِ لَفْظُ ﴿مُنْظَرِينَ﴾؛ فَهُمْ مِنْ هَذَا عَلَى سَبِيلِ الْكِنَايَةِ أَنَّ اللَّهَ مُنْظِرُهُمْ، وَأَنَّهُ لَنْ يَسْتَأْصِلَهُمْ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ نَشْرُ الدِّينِ بِوَاسِطَتِهِمْ، فَأَمَّهَلَهُمْ حَتَّى اهْتَدَوْا، وَلَكِنَّهُ أَهْلَكَ كِبَرَاءَهُمْ وَمُدْبِرِيَهُمْ⁽²⁾.

إمهال الكافرين
نعمة لمن يؤمن
منهم

نكتة التعبير بلفظ ﴿مُنْظَرِينَ﴾:

لَمَّا كَانَ الْإِنْظَارُ بِمَعْنَى التَّأخِيرِ، وَهُوَ هُنَا عَلَى جِهَةِ التَّأَمُّلِ وَالتَّفَحُّصِ لِلْمُنْظَرِ؛ أَشْعَرَ التَّعْبِيرُ بِقَوْلِهِ: ﴿مُنْظَرِينَ﴾ تَمْكِينَهُمْ مِنَ النَّظَرِ وَالتَّأَمُّلِ وَمَعَايِنَةِ أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ؛ لِيَعْرِفُوا سُوءَهَا⁽³⁾، فَفِيهِ حُتٌّ عَلَى التَّأَمُّلِ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ، فَإِنَّهَا مُوجِبَةٌ لِلْإِهْلَاكِ وَلْعَذَابِ الْإِسْتِصْصَالِ.

حث الكافرين
على التأمل
في أقوالهم
وأعمالهم،
لعلهم يؤمنون

❁ الفروق المُعْجَمِيَّة:

(الإنظار) و(الإمهال):

الْإِنْظَارُ مَقْرُونٌ بِمُدَّةٍ مَعْلُومَةٍ، بِحَيْثُ يَقَعُ فِيهِ النَّظَرُ، وَالْإِمْهَالُ يَقَعُ بِمُدَّةٍ مَبْهَمَةٍ، وَذَهَبَ بَعْضُ اللُّغَوِيِّينَ إِلَى أَنَّ الْإِنْظَارَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، هُوَ تَأْخِيرُ الْعَبْدِ؛ لِيَنْظُرَ فِي أَمْرِهِ، وَيَتَأَمَّلَهُ، وَيَعَايِنَهُ، وَالْإِمْهَالُ تَأْخِيرُهُ؛ لِيَسْهَلَ مَا يَتَكَلَّفُهُ مِنْ عِلْمِهِ⁽⁴⁾.

الإنظار مقرون
بمدّة محدّدة،
والإمهال بمدّة
غير محدّدة

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 14/18، والآلوسي، روح المعاني: 7/261.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/19.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزّاغبي، للفردات: (نظر)، والكفوي، الكلّيات، ص: 906.

(4) العسكري، الفروق اللّغويّة، ص: 202.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الجُر الآية 99
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الجُر الآية 99
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 25، 812 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-22-7

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 25: المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الجُر الآية 99.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-22-7

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-3019282 بتاريخ 2024/02/23م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»